



سؤال الرجل صديقه: لماذا لا تعالج السقف؛ كي لا تتسرب منه مياه الأمطار فتغرقنا ونحن جلوس هكذا؟  
فأجابه: وكيف أعالجه والماء يتسرّب؟  
فسألته: ولم لم تعالجه قبل نزول المطر؟  
فأجابه: لأن الماء لا يتسرّب حينها.

هذه هي الدائرة المغلقة التي يدور فيها الناس سواء على المستوى الفردي أو على مستوى التيارات والجماعات أو حتى على مستوى الدول والمجتمعات الكبيرة في عالمنا.

تفجؤهم الأحداث فيستقبلونها بفقر في الأفكار والأدوات وضحالة في الموارد والكافئات المناسبة لها، وحين تحاول البحث في سبب عدم استعدادهم بالأفكار والموارد والكافئات لمثل هذه الفجأة، تجد أنهم كانوا غارقين في اللحظة الآتية بلا أي تفكير مستقبلي يمهد الأرض لأجيال قادمة تحسن استقبال ما تفجّؤها الأيام به.

وذلك حال أصحاب الأيديولوجيات المغلقة المتکلسة لا يحسنون المراجعة ولا التطوير ولا يثقون في أي تجديد يحفزهم على تغيير نمط الأفكار والرؤى، يفكرون دائمًا في اللحظي والآنى وكبسولة المعرفة التي تكفي من أجل الحركة، وكفانا تتنظيرًا، باستثناء التنظير الذي يخدم الأيديولوجيا بالطبع.

ويد الله حين تعمل في فسح مجال من الأسباب، فهذه الأيديولوجيات تظل عاجزة عن الانتفاع من هذا المجال الذي فُسح، وتظل كل واحدة منها تسير على قضيبها القديم، عاجزة عن الاستجابة المناسبة؛ لأن الاستجابات المناسبة لا تكون إلا عن دربة مرهقة ومران طويل قديم.

وإن الله لا يظلم أحدًا ولا يصيّب الناس مصيبة إلا بما كسبت أيديهم والله يعفو عن كثير.  
وأسوأ ما يقع: أيديولوجيات تزعم نفسها أحسن من أختها وهي مثلها في الانغلاق والضعف والعجز وهي مع ذلك رعناء ليس فيها حتى دين وخلق أولئك، تطبب زمام أولئك ب杰ذام.  
ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.